جمهورية مصر العربية
جامعة الزقازيق
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم

مجلة
حضارات الشرق الأدنى القديم

دورية علمية محكمة

http://www.east.zu.edu.eg

الزقازيق

العدد الثانى – السنة الثانية– أكتوبر ٢٠١٦ م–الجزء الأول

رقم الإيداع ١٨٤٣٥ - الترقيم الدولى (٥٣٣٥ - ٢٠٩٠)

مطابع جامعة الزقازيق

عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي

حضارات الشرق الأدنى القديم ومؤثراتها عبر العصور

الذى أقيم خلال الفترة من ١٣–١٥ مارس ٢٠١٦

بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم–جامعة الزقازيق

بالتعاون مع كلية التربية الأساسية جامعة بابل

السحر والشامانية فى عصور
ما قبل التاريخ

د. زينب عبد التواب رياض
كلية الاثار، جامعة أسوان

السحر والشامانية فى عصور ما قبل التاريخ

د. زينب عبد التواب رياض
كلية الاثار – جامعة أسوان

مقدمة:

السحر، الدين، الشامانية.. جميعها أفكار ومعتقدات آمن بها واعتنقها انسان عصور ما قبل التاريخ فى رحلة بحثه عن ذاته، وعن أسرار القوى المحيطة به، آملاً فى العثور على من يؤَّمن له الحياة.

فلقد كان إنسان عصور ما قبل التاريخ أشبه بإنسان القبائل البدائية، كان يحيا بالفطرة، يخشى الغيب، ويخاف المستقبل الذى قد يأتى بما لا 'يحمد عقباه، ومن ثم كانت رغبته فى الحصول على الأمان هى الغاية التى كان يبتغيها، ولقد صور الانسان البدائى حياته على جدران الكهوف والمآوى الصخرية، فترك لنا بذلك وثيقة مرسومة عن حياه عاشها، وصور لنا البيئة التى أحاطت به؛ وكيف كانت بيئة موحشة مليئة بالحيوانات المفترسة، والعوامل الجوية المفزعة؛ انها الطبيعة التى أفزعته بقدر ما طمأنته؛ والتى تخيل أن من ورائها قوى غيبية هى التى تسيرها وتتحكم فيها. (١)

ولقد تخيل انسان عصور ما قبل التاريخ أن وراء هذه القوى الغيبية كيان غامض، يخشاه ويرجو رضاه، فراح ينسج بخياله القصص والحكايات التى'ترضى هذا الكيان الغيبى، وكان للسحر مكانتة في هذه القصص، ويظهر ذلك من خلال الرسوم الصخرية التى تم اكتشافها فى العديد من مواقع عصور ما قبل التاريخ، والتى كانت تحمل العديد من الدلالات ذات المغزى السحرى، التى عبر عنها الفن البدائى عندما صور لنا هيئات الشامان، والهيئات المركبة التى تجمع بين شكل الإنسان والحيوان فى تركيبة ذات دلالة رمزية سحرية،(٢) و"طبعات الأيدى" أو بصمات الأيدى وهى من السمات الفنية التى انتشرت فى العديد من الرسوم والنقوش الصخرية التى تم اكتشافها بالعديد من كهوف العالم، وفى العديد من المآوى الصخرية بوسط وجنوب أفريقيا،

---

(١) Lorblanchet, M., from man to animal and sign in Paleolithic art, In: Morphy, H. (ed.): *Animals into Art*, London, 1989, pp. 109–143.

(٢) Winkelman, M. J., Shamans and Other "Magico-Religious" Healers: A Cross- Cultural Study of Their Origins, Nature, and Social Transformations. *Ethnos* 18(3), 1991, pp.308-352.

وكانت ضمن اهم عناصر فن الرسوم الصخرية ذات المغزى السحرى، وكانت إما تصاحب مناظر الصيد أو المناظر الحيوانية أو تأتى فى مجموعة مستقلة من بصمات وطبعات أيدى عدة لرجال ونساء.(١)

ولقد ربط البعض بين تلك الرموز وبين "الشامانية" كفكر وعقيدة 'عرفت منذ عصور ما قبل التاريخ، ولأن الشامانية من الأمور التى لايزال صداها ذائعا فى العديد من الأماكن فى عصرنا الحالى، فإنه يتوجب علينا دراسة الحاضر للوصول الى الماضى، إذ أننا فى دراستنا لعصور ما قبل التاريخ نعتمد على الاستقراء، وعلى مقارنة الحاضر بالماضى، لفهم ما لم نستطع رؤيته فى تلك العصور البعيدة ذات الثقافة غير الكتابية، ومن ثم لم أجعل البحث مقتصراً على منطقة بعينها لأن الشامانية وإن كانت قد وجدت فى أماكن معينة بالشرق الأدنى القديم منذ عصور ما قبل التاريخ، فهى لاتزال متواجدة حتى يومنا هذا فى أماكن أخرى بأوروبا وأسيا الوسطى والشمالية بل والأمريكتين.. ولذا آثرت جعل الموضوع شاملاً لعصور ما قبل التاريخ بصفة عامة لإلقاء الضؤ على أبعاده لتوضيح الصورة.

تعريف الشامانية:

هناك تعريفات عدة للشامانية* Shamanism ؛ فالشامانية دين بدائي يتميز بالاعتقاد بوجود عالم محجوب هو عالم الالهة وارواح السلف، وان هذا العالم لا يستجيب الاّ للشامان الذى هو حلقة الوصل بين عالم الدنيا او الأحياء وعالم الأرواح أو الألهة، وهو الكاهن الذى يستخدم السحر لمعالجة المرضى والسيطرة على الأحداث.(٢)

والشامانية أيضاً جملة من الاعتقادات والممارسات المنتشرة في أنحاء مختلفة من العالم منذ عصور ما قبل التاريخ، وهي مقصورة على مجموعة من الرجال أو النساء الذين يسمون "شامان"

---

(١) Bednarik, R.G., The first stirrings of creation, Rock art, found in almost all the world's regions, is a mine of information about early man's intellectual development, in: THE UNESCO Courier, APRIL , 1998, pp. 4-10.

* تعود كلمة شامان في أصولها إلى كلمة ''صامان'' بلغة التونغوس''التي تعد جماعة لغوية منغولية تنتشر في سيبيريا الشرقية وحتى حدود الصين. وكلمة صامان مشتقة من كلمة "صا" أى المعرفة، وبالتالى فكلمة صامان تعني الذي يعرف لكن البعض يعود بالكلمة إلى جذر يحمل معنى الحركة والقفز والرقص، بينما يعيد قاموس ليتري كلمة شامان الى الكلمة السنسكريتية "صرمناص" التى تعنى المتعبد الصوفى:

مفيد نجم، "تصور فلسفى عن صلات غامضة بين البشر والألهة، تقديم لكتاب: ميشال بيران، الشامانية فلسفة حياة، موقع العرب الالكترونى، فبراير ٢٠١٦.

(٢) Eliade, M. Patterns in Comparative Religions, New York, 1974, p. 4; Lindholm, C., Shaman, shamanism, In: Barfield, T. (ed.): The Dictionary of Anthropology, Oxford, 1997, pp. 424–425.

يتصفون بصفات خارقة، يزعمون أن لديهم القدرة على تشخيص الأمراض وشفاء المرضى،[١] وفي بعض الحالات التسبب بالأذى، كما 'يعتقد أنهم يتحكمون بالطقس ويتنبئون بالمستقبل، ويكثر عندهم تفسير الأحلام، وتكتسب هذه القدرات الخارقة عن طريق السيطرة على الأرواح.[٢]

انتشرت الشامانية في دول عديدة من العالم، خاصة في دول آسيا الوسطى والشمالية، وتأثرت بمذاهب آسيوية كبرى، أمثال: الميزوباتية والبوذية، دون أن تفقد بنيتها الخاصة.[٣]

الشامان:

تعددت الآراء بشأن تعريف الشامان وتحديد دوره، فهناك من رأى أنه الساحر الذى يمارس النشاط السحري في طقوس الصيد المفترضة أدائها والتى وضحت منذ عصور ما قبل التاريخ من خلال الرسم والنقش الصخرى والنحت، وكان الغرض منها تسهيل عملية الصيد والسيطرة على الحيوانات الطريدة، تماماً كساحر القرية الأفريقي أو الآسيوي أو أي كان من الذين ندعوهم اليوم على المستوى العالمي باسم الشامان.[٤]

وهناك من أشار الى أن الشامان انسان يجمع بين شخصية الساحر ورجل الدين الواعظ، وذلك اعتماداً على ما أظهرته تقاليد العديد من القبائل البدائية المعاصرة.[٥]

ولقد كان للشامان دور هام بالعديد من حضارات عصور ما قبل التاريخ، اذ كان يشكل شخصية استثنائية تماماً كما هو الحال لدى العديد من القبائل البدائية الحالية،[٦] فهو سيد القبيلة الذى يمتلك قوى تفوق قوى الطبيعة والأرواح والأمراض والأعداء، وهو بالنسبة الى قبيلته الساحر الذي تعلّم اكتشاف المجهول والذى يعمل على التواصل بينه وبين الموتى، ويقوم بحلّ

---

(١) Halifax, J., Shamanic Voices, New York, 1979, p. 18.

(٢) Lewis-Williams, D., The Mind in the Cave: Consciousness and the Origins of Art, London,1987, p. 281.

(٣) Eliade, M., Shamanism and cosmology. In Nicholson, S. (ed.), Shamanism, Quest Books, Wheaton, Illinois, 1987, pp.17-46; Humphrey, C.. Theories of north Asian shamanism. In: Gellner, E. (ed.) Soviet and Western Anthropology, London,1980, pp. 243-254.

(٤) Rozwadowski, A., Crossing the crack: flying to the cloud. Indo-Iranians, shamanism and Central Asian rock art. Bolletino del Centro Camuno di Studi Prehistoric, 33, 2002, pp. 97-105.

(٥) كامل على، أساطير الأواين، الشامانية، مجلة كتابات الالكترونية، ٢٠١٢، ص ١-٢.

(٦) Clottes,J., & Lewis-Williams ,D., Les chamanes de la préhistoire: Transe et magie dans les grottes ornées Poche – 12 mars , Paris, 201

الكرب والمشاكل التي يتعرّض لها الإنسان وإعطاء أجوبة وحلول تساهم في إرساء التوازن في المجتمع القبلي وهو المسؤول عن إخماد غضب الإله والحماية من الأرواح الشريرة.[١]
ومن ثم يمكن القول ان السحر والشامانية هما أساس العقيدة الدينية لإنسان ما قبل التاريخ، وهما حجر الأساس لدراسة دين الانسان الحالى فى القبائل البدائية.[٢]

الشامان كما أظهرته الأعمال الفنية فى عصور ما قبل التاريخ:

صور لنا الفن الصخرى "الشامان" بهيئة مركبة تجمع بين "الآدمية والحيوانية"، وهي صوره توحى بالغرابة، ولقد عثر على العديد من تلك الهيئات المركبة فى مختلف الرسوم الصخرية بالعديد من المواقع التى تؤرخ بعصور ما قبل التاريخ،[٣] وكان من بين تلك الهيئات الشامانية المركبة، هيئة ساحر "كهف الأخوة الثلاثة"، وهو كهف عثر عليه بفرنسا وعرف باسم تلك اللوحة الفنية التى أظهرت صورة تجريدية مركبة "لشامان" جمع فى هيئته بين شكل "حيوان وانسان معا"، اذ صور شامان كهف الأخوة بهيئة رجل متوج بقرون ظبي، أنفه يشبه منقار طير جارح وعينيه مدورتين كعينيى البومة، أعضاءه العليا قصيرة بصورة غير عادية، منتهية بمخالب تشبه مخالب الدب، وله ذيل حصان، ويبدو هذا الخيال الغريب ذو نصف الانحناءة وكأنه يؤدي رقصة طقسية[٤](شكل:١)

ولقد تعددت الهيئات المركبة للشامان على جدران الكهوف، وفى الرسوم الصخرية، فهناك هيئة "الرجل الثور" والتى ظهرت على جدران كهف Gabillou بفرنسا؛ وهو شامان صوره الفنان البدائى بهيئة آدمية – حيوانية، تجمع بين رأس الثور وجسم الانسان، وتوحى هيئته بفكرة الساحر، وقد رسخت تلك الفكرة بالأذهان بعد توسع الاكتشافات وبعد العثور على العديد من الصور المركبة الأخرى ذات الموضوع المتشابه والتى كان يجمع فيها الشامان بين الهيئة الآدمية والهيئة الحيوانية لاسيما الوعول والغزلان بارتداءه قرونها كنوع من الاقتران بها.[٥]

---

(١) Lorblanchet, M., & Le Quellec, J., & 3 plus, Chamanisme et Arts Préhistoriques: Vision Critique Broché – 22 mai , 2006.

(٢) Durkheim, E., the Elementary Forms of the Religious Life, New York, 1961. p. 60

(٣) Wheaton, 1987, ،Eliade, M., Shamanism and cosmology, In: Nicholson, S. (ed.), Shamanism pp. 17-46.

(٤) Clottes, J., & Lewis-Williams, D., The Shamans of Prehistory,Newyork, 1998. p.94.

(٥) Society, in:Baltica Hunting “Shamans” in Deer and Deer of the Cult Mikhailova, N., the Archaeologia, vol.7, 2005, p. 191, fig. 2.1.

وتشترك هيئة "الرجل الثور" فى السمات العامة التي يتضمن عليها مثال رسم ساحر "كهف الأخوة الثلاثة"، اذ صوره الفنان أيضاً في حالة رقص (شكل:٢) وهى حالة تذكرنا بصور واقعية معاصرة مألوفة عند بعض من سكان الغابات في آسيا وأفريقيا.[١]

ولقد عبرت أعمال النحت البدائية أيضاً عن الهيئات الشامانية المركبة، وذلك كما يتبين فى تمثال هيئة "الرجل الأسد" (شكل:٣)، والذى عثر عليه فى منطقة Hohlenstein بألمانيا، وهو يرجع لحوالى ٣٠.٠٠٠- ٢٦.٠٠٠ ق.م، التمثال من عاج قرون الماموث، ارتفاعه ٢٩.٦ سم، يوجد حالياً بمتحف أولمر بألمانيا.[٢]

أغطية الرأس الشامانية:

أوضحت الرسوم الصخرية مناظر عدة لأغطية الرأس التى كان يرتديها الشامان "الساحر" وكانت أغلبها تتخذ اما رؤوس حيوانية أو قرون غزلان (شكل:٤)، وأحياناً كانت أغطية الرأس من ريش الطيور الجارحة لاسيما النسور التى كان لها دور هام فى الطقوس الشامانية بالعديد من الأماكن.[٣]

ولقد كانت قرون الغزلان والوعول من أهم ما يميز غطاء رأس الشامان، ووضح ذلك من خلال بقايا بعض الدفنات الشامانية، أو من خلال بعض الأعمال الفنية، ولقد ظهرت تلك الهيئة لغطاء الرأس الشامانى فى العديد من بلاد الشرق الأدنى القديم فى بداية العصور التاريخية، فمن إيران أو بلاد الرافدين – المصدر تحديداً غير مؤكد فهو من القطع المشتراة – عثر على تمثال من النحاس يؤرخ بالفترة ما بين ٣١٠٠ – ٢٩٠٠ق.م*، وهو بهيئة فسرها البعض بأنها "شامان" يرتدى غطاء للرأس من قرون الوعول أو الغزلان (شكل:٥)، وهى هيئة كانت سائدة فى إيران وبلاد الرافدين وكانت تشير الى شخصية الساحر أو الكاهن أو المعالج الروحى الذى كان له سلطة فى

---

(١) Pavlinskaya, L.R.,The shaman costume: image and myth. In: Seaman, G. & Day, J.S. (eds) Ancient Traditions: Shamanism in Central Asia and the Americas , 1994, pp. 257-264.

(٢) Mikhailova, N., pp. 190-191.

(٣) Lewis-Williams, J.D. & Dowson T.A., The signs of all times: entoptic phenomena in Upper Paleolithic art. Current Anthropology 29(2), 1988, pp. 201-245.

* التمثال لا ينتمى الى عصور ما قبل التاريخ ولكن أتيت به كمثال أستشهد به على معرفة واستمرار هيئة الشامان فى بلاد الشرق الأدنى القديم منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى بداية العصور التاريخية.

السيطرة والهيمنة على الأرواح الشريرة عن طريق تسخير قوى الطبيعة والحيوانات فى السحر والشفاء.[١]

رداء الشامان:

تم التعرف على أردية الشامان من خلال ما أظهرته الرسوم الصخرية التى تم اكتشافها فى العديد من المواقع سواء فى أفريقيا أو أسيا أو أوروبا، وجاءت أردية الشامان أشبه بمعاطف من الريش، أو معاطف ذات زوائد أشبه بالأهداب، وذلك على غرار ما أظهرته الرسوم الصخرية فى منطقة جبال الألتاى فى روسيا حيث ظهر الشامان بهيئات مركبة "أدمية–حيوانية"، يرتدى معطف ذا زوائد متدلية أشبه بالريش، وغطاء للرأس اتخذ هيئات برأس الطائر[٢] وكذلك أظهرت الرسوم الصخرية المكتشفة فى فنلندا * الشامان بهيئات قريبة الشبه مما جاء فى رسوم منطقة جبال الألتاى.[٣] حيث المعطف ذو الزوائد أو الريش، وأغطية الرأس ذات القرون الحيوانية لاسيما الوعول أو الغزلان التى كان يرتديها الشامان كغطاء للرأس أثناء أداءه للرقصات الطقسية، أو طقوس الرقص السحرى.[٤]

الأدوات الطقسية والموسيقية للشامان:

الشامان باعتباره ساحر القبيلة وطبيبها المعالج كان له طقوسه وأدواته الخاصة التى يستخدمها فى أداء مراسم هذه الطقوس، وهى أدوات تنوعت بين الحجرية والخشبية، وكان أهمها عصا تشبه "عصا البوميرونج" (التى كانت تستخدم لصيد الطيور فى مصر القديمة)، الا أن نهاية

---

(١) Benzel, K., Graff, S. R., &Yelena Rakic, Y., Art of the ancient near east, New York,2010, p.54.

(٢) Andreassen, R. L., Rock art in Northern Fennoscandia and Eurasia, painted and engraved, geometric, abstract and anthropomorphic figures, Euoropa, 2007, p. 9, fig.16.

* فنلندا أو جمهورية فنلندا، هي بلد شمالي يقع في المنطقة الفينوسكاندية في شمال أوروبا، يحدها من الغرب السويد، والنرويج من الشمال وروسيا من الشرق.

(٣) Kivikäs, P., Rock Paintings in Finland, Electronic version of Folklore, Tartu, 2001,Vol. 18 & 19. pp. 137-161

(٤) Autio, E., Horned Anthropomorphic Figures in Finnish Rock Paintings: Shamans or Something else? in: Fennoscandia Archaeologica, vol. 12, 1995, pp. 13-18.

الطرف العلوى لها كان يتخذ شكل رأس حيوانية كانت تضفى على العصا الصبغة الطقسية وكان الشامان يستخدمها أثناء قيامه بأداء الرقصات الطقسية أو عند ممارسات العلاج الروحانى.[١]

ولقد عثر على مختلف تلك الأدوات فى العديد من الدفنات الشامانية، كما أوضحتها كذلك العديد من الرسوم الصخرية.

ولقد استخدم الشامان فى سبيل القيام بممارساته الطقسية أيضاً بعض الآلات والأدوات الموسيقية البسيطة،[٢] التى كان من خلالها يستطيع اسعاد الأرواح، وتيسير مهام طقوسه، وكان من بين تلك الآلات الموسيقية لو صح التعبير (الطبلة أو الدف) والمزامير المصنوعة من عظام الطيور والتى كان على غرارها ما عثر عليه فى العديد من الدفنات ضمن أدوات الشامان التى كانت تدفن معه،[٣] ففى (شكل: ٦) نرى "الناى" أو آلة النفخ وهى من عظام الطيور، بها العديد من الثقوب التى تساهم فى تغيير مستوى الصوت الصادر عنها، عثر عليها فى أحد كهوف جنوب غرب ألمانيا، وترجع الى حوالى ٣٥.٠٠٠ ق.م.[٤]

الشامان وقدسية الكهوف:

كان للكهوف قدسيتها فى نفوس ساكنيها، فالكهف بوضعه داخل الجبل أو أعلاه، وظلمته فى كثير من الأحيان كان له نوع من الغموض والخشية، فكان بذلك من أنسب الأماكن لممارسات الشامان، وللقيام بمختلف الطقوس السحرية، وعلى جدران الكهوف صور الإنسان الأول حياته سواء التى عاشها او التى كان يبتغيها، ولقد تنوعت اهتمامات دارسى تلك الكهوف ما بين مهتم بالفن فى حد ذاته، ومهتم بالكهف وسماته، وما بين هذا وذاك كان الخروج بأهمية الكهف وأهمية الرسوم الصخرية التى أنجزتها أياد ماهرة في التحقيق الفني رغم بدائة الفترة الزمنية.[٥]

---

(١) O'Hara, M., the magician of ridge ruin An Interpretation of the Social, Political, and Ritual Roles Represented, in: "Beyond Status: Meaning, Metaphor, and Identity in the New World Mortuary Record," at the 73rd Annual Meeting of the Society for American Archaeology, Vancouver, British Columbia, March 28, 2008,For full text and figures – http://www.public.asu.edu/~ohara/2008SAA.pdf

(٢) Van Deusen, K., a Music and Storytelling in the Tuvan Shamanic World. Acta Ethnographica Hungarica, 48,2003, pp. 3–4:441–450.

(٣) Walker, M., M usic as Knowledge in Shamanism and Other Healing Traditions of Siberia. Arctic Anthropology , 2003, vol.40:2, pp. 40–48

(٤) Steif, A., Endless resurrection: art and ritual in the upper Paleolithic, university of Michigan, Michigan, 2010, p. 22.

(٥) Douglas Smith, "Beyond the Cave" in French Studies, Vol.58, no.2, pp. 219-232

ومما أكد قدسية الكهف أنه قد عثر فى بعض الكهوف على بعض الدفنات الآدمية؛ سواء كانت بصورة صريحة، أو من خلال العثور على بقايا عظام آدمية متناثرة ومختلطة بالعديد من اللقى الأثرية والأدوات الحجرية وذلك فى كهوف عدة بمختلف أجزاء العالم، سواء فى أفريقيا، اسيا او أوروبا.(١)

فكان الكهف بذلك مكان جمع فى طياته بيع عالم الحياة –إذ عاش فيه الانسان الأول ومارس شئون حياته اليومية– وعالم الموت أو العالم الأخر بما عثر عليه فيه من دفنات.

الشامان وطقوس الصيد السحرية من خلال الرسوم الصخرية:

يحتل السحر مكانة هامة في حياة انسان ما قبل التاريخ، وظهر ذلك من خلال الرسوم الصخرية التى تم اكتشافها فى العديد من المواقع، والتى كانت تحمل العديد من الدلائل الرمزية، التى عبر عنها الفن البدائى عندما صور لنا هيئات الشامان والسحرة، والحيوانات ذات الهيئات المركبة التى تجمع بين شكل الحيوان والانسان.(٢)

ولقد تنوعت التفسيرات بشأن الغرض من الرسوم الصخرية بالكهوف، فهناك من رأى أن رسوم الكهوف ما هى الا رسوم نفذتها أيدى فنان عشق الفن، ولم يكن يبغى من ورائها الا متعة الفن بلا تعقيد، فجاءت الصور بحرية وعبرت بحركاتها عن واقعية الموقف بكل ما فيه،(٣) وهناك من رأى فى تلك الرسوم أغراض سحرية مقصودة، كان الغرض منها الانتفاع بما هو مرسوم على جدران تلك الكهوف فى واقع الحياة بخارجها عن طريق السحر، وكأن انسان تلك الفترة كان يكتب ويسجل حياته بالرسم على جدران الكهوف والمآوى الصخرية، بعض ما رسمه كان من الواقع والبعض الأخر كان يأمل به حدوثه فى الواقع.(٤)

---

(١) Oiiva ,M., Martin 11 The Brno II Upper Palaeolithic burial, ROEBROEKS, W., (edit.), hunters of the golden age , the mid upper palaeolithic of Eurasia 30,000 - 20,000 BP, in:Analecta Praehistorica Leidensia31,1999,pp. 143-150.

(٢) انظر:

VIALOU, D., The prehistoric imagination, in: The UNESCO Courier, APRIL 1998 ، pp. 17-21

(٣) Blanchot, M., "The Birth of Art" in Friendship translated by Rottenberg, E., (edit.) Stanford, 1997, p. 3.

(٤) انظر:

ANATI, E., The writing on the wall 40.000 years of homo intellectuals ،in: the UNESCO Courier, APRIL , 1998, pp. 11-16.

وهناك من الأدلة ما يؤكد على سحرية الرموز والأشكال التي صاحبت مناظر الصيد والمناظر الحيوانية، مثال الرموز التي تشبه السهام والحراب، أو الأشكال الأخرى التي توحي بالجروح القاتلة للحيوان، وكذلك مثل الرموز الشبكية التي توحي بموضوع صورة الفخ لصيد الحيوان، وجميع هذه الأشياء ما هى الا رموز سحرية تشير الى رغبة الانسان فى حدوث هذه الأمور بواسطة السحر، والدليل على ذلك أن العديد من الأبحاث الحديثة المتعلقة بدراسة بقايا ما عثر عليه من عظام حيوانية بالعديد من الكهوف أكدت على أن أنواع الحيوانات التي كثر تصويرها في الكهوف لم تكن ضمن الطرائد المشاع اصطيادها، إنما العكس؛ فهناك من الحيوانات ما ندر تصويره على جدران الكهوف، وكثر العثور على بقاياه العظمية مثل حيوان الظبى الذي كان يشكل الطريدة المفضلة، كانت صورته الأقل حضوراً بين رسوم الكهوف.(١)

وبالرغم من انتشار نظرية الممارسة السحرية على المستوى الأكاديمي، كان ثمة عدد من المتخصصين ينظرون إليها بريبة العالم والبعض الآخر لم يلتفت إليها البتة ويعمل متابعاً بحوثه الخاصة في مجال تحليل الأثر من الناحية الثقافية والاجتماعية، مما أدى الى وجود نوع من التخبط في إعطاء معان معقولة ومقبولة من قبل دارسي فنون العصور الحجرية والذي دفع من جديد البعض على تقبل الحلول السلسة بالرجوع إلى فكرة السحر وتقريبها من فكرة قدسية الكهف والخروج ببنيان جديد عن فكرة الشامان.(٢)

ومن ثم فإن أول نظرية مقنعة في محاولة فهم مواضيع رسوم وصور العصور الحجرية، كانت فكرة ارتباط الإنجاز الفني بالممارسة السحرية، التي نادى بها مجموعة من المهتمين بفن العصور الحجرية لاسيما بعد اكتشاف صورة كهف (ساحر الأخوة الثلاثة).(٣)

وتتتلخص فكرة مفهوم الممارسة السحرية في سبب وجود هذه الرسوم على نطاق واسع فى العديد من الكهوف والمآوى الصخرية، فلقد كان الإنسان يقوم برسم الطريدة على جدار الكهف مثل ممارسة سحرية تدخل في عملية التحضير لفعل الصيد، وكذلك للحفاظ على نسل الحيوان بالتكاثر؛ وبمعنى أكثر بساطة هو رسم الحيوان من أجل السيطرة عليه.(٤)

---

(١) عباس بانى حسن، السحر وفنون العصر الحجرى، موقع مركز كلكامش للدراسات والبحوث الكردية، ٢٠٠٩/٩/٢٨.

(٢) عباس بانى حسن، المرجع السابق.

(٣) Bataille, G., Lascaux: Origin of the Work of Art," Yale French Studies, No.78, (1990), pp. 246-262.

(٤) Begouen, H., Les bases magiques de l'art préhistorique 1/2 - 2/2 Revue Scientia, 1939.

وكان من أشهر مناظر الصيد السحرى المرتبط أيضاً بالممارسات الشامانية والدلالة الطوطمية، منظر البيزون والرجل الراقد والعصى الطقسية (شكل:٧) والذى جاء ضمن رسوم كهف لاسكو بفرنسا، المنظر يدل على حالة فقدان الوعى التى يدخل فيها الشامان أو حالة النشوة التى انتابته عند قيامه بأداءه للطقوس السحرية أو الرقصات الطقسية، فجاء راقداً على الأرض، وبجواره العصا التى تتخذ هيئة رأس الطائر عند طرفها العلوى "طائر الشامان"، وكل هذه مفردات تؤكد على ما للمنظر من دلالة سحرية.(١)

وكان أيضاً من اهم الرموز التى كان لها دلالتها السحرية ايضا "طبعات الأيدى" أو بصمات الأيدى وهى من السمات الفنية التى انتشرت فى العديد من الرسوم والنقوش الصخرية فى العديد من كهوف العالم وكان من بين هذه الرسوم الصخرية ما يوضحه (شكل: ٨) من مشهد لحصان أرقط، يعلوه منظر لبصمة كف اليد من كهف كاستليو بأسبانيا، ولقد استفاد الفنان من شكل الصخرة التى نفذ عليها هيئة الحصان، وهى السمة التى ميزت الفن الصخرى فى تلك المنطقة.(٢)

الشامان والرموز الطوطمية:

أظهرت الرسوم الصخرية العديد من الرموز الطوطمية ذات الدلالات السحرية والتى كان من بينها ما جاء فى بعض المآوى الصخرية بوسط جمهورية ملاوى جنوب شرق أفريقيا،(٣) اذ تم اكتشاف مجموعه من الرسوم الصخرية التى اشتملت على هيئات آدمية تجريدية يحيط بها أشكال لدوائر لونت باللون الأبيض، وهيئات لثعابين لونت ايضاً بنفس اللون؛ وربما كانت لتلك الرسوم دلالتها السحرية ذات الصلة الشامانية.(٤)

وربما كان لتلك الرموز صلة بالأساطير المرتبطة بخلق البشر وقوة الخصوبة سواء للطبيعة أو للإنسان، ففى أستراليا عثر على العديد من الرسوم الصخرية التى ترجع للعصر الحجرى القديم، كانت مواضيع تلك الرسوم أشبه بالفن الصخرى الذى جاء ضمن رسوم المآوى الصخرية بأفريقيا، سواء من ناحية الموضوع الفنى ذا المغزى السحرى والأسطورى، أو المفردات الفنية الدالة علية مثل

---

(١) انظر:

Halifax, J., op. cit. ،pp. 16-17; Lewis-Williams, D., The Mind in the Cave: Consciousness and the Origins of Art, London,1987, pp. 172-3.

(٢) Clottes ,J., & Lewis-Williams, 1998, 91.

(٣) Clottes, J., The shaman's journey, p.24.

(٤) Zubieta, L., "Girls' initiation rock art in south-central Africa: women's voices", in: Seglie, D., and Others, Prehistoric Art: Signs, Symbols, Myth, Ideology, 2009, p. 151.

شكل الثعبان، والأشكال الهندسية والهيئات المركبة التى تجمع بين الانسان والحيوان، والأشكال المستديرة بيضاء اللون والثعبان سواء بمفرده أو يمسك به أحد الشامان.[١]

كان للهيئات الشامانية المركبة رموز خاصة بها وتشير اليها، كانت أقرب للطوطمية فى معناها وذلك لأن الشامانية قبل أن تكون ديانة بدائية؛ هى جملة من المعتقدات والأفكار ظهرت منذ عصور ما قبل التاريخ،[٢] واستمرت طوال العصور التاريخية فى العديد من أجزاء العالم وفى بعض من حضارات الشرق الأدنى القديم، أثرت تلك الأفكار والمعتقدات فى طبيعة أهل تلك الحضارات وكان لكل حضارة صبغتها بناء على الموروث الثقافى لها، ففى إيران وبلاد الرافدين وضح دور السحر والشامانية فى فكر أهل كلا البلدين حتى الألف الأول ق.م، وإن اختلفت وسائل التعبير عنه الا أن هناك إشارات الى تواجد مثل تلك الأفكار السحرية وايمانهم بها، ففى (شكل: ٩) نرى تميمة عرفت بتميمة (التواصل مع الإله) أو تميمة المعبودة "لامشتو" – تؤرخ ببداية الألف الأول ق.م*، وتوجد بمتحف المتروبوليتان للفن، وهى تميمة تحفظ مرتديها من شرور لامشتو، وهي كانت معبودة شرسة من كائنات العالم السفلي في العصر القديم.[٣]

تصف النصوص القديمة لامشتو بأن لها رأس أسد، وأسنان حمار، وثديين عاريين، وجسداً كثيف الشعر، ويدين مخضبتين بالصبغة، وأصابع وأظافر طويلة، ومخالب الطير، كما تظهر في بعض الألواح وهي ترضع خنزيراً صغيراً وجرواً، وتحمل في يديها الثعابين، وتقف على ظهر حمار، وهو حيوانها المقدس، والذي أحياناً ما يكون واقفاً على زورق يبحر به عبر العالم السفلي، وما هذا الوصف الا هيئات مركبة عبرت بالسحر عن الدور الذى يلعبه الساحر أو الكاهن أو الشامان فى شفاء المرضى وطرد الأرواح الشريرة والتى كانت فى اعتقادهم هى التى تسبب المرض.[٤]

---

(١) CLOTTES, J., The shaman's journey, in: THE UNESCO Courier, APRIL 199, pp. 27-28

(٢) راجع منظر البيزون والعصى الطوطمية فى (شكل:٧).

* لا تؤرخ هذه التميمة بعصور ما قبل التاريخ، ولكنها دليل على استمرار الفكر الشامانى والمعتقدات السحرية فى بلاد الرافدين وإيران حتى العصور التاريخية القديمة.

(٣) Benzel, K., Graff, S. R., &Yelena Rakic, Y., op. cit., p. 42, fig.21.

(٤) Benzel, K., Graff, S. R., &Yelena Rakic, Y., op. cit., p. 43.

وفى مصر كان للشامانية تواجدها المعنوى*؛ فقد كان تصور قدماء المصريين لأبعاد الكون يقترب الى حد كبير من تصور "الشامان" (الكاهن أو العراف)، فالنصوص التى تركها الشامان تصف عالما روحانيا هو بالنسبة لهم عالما حقيقياً / واقعيا (ليس افتراضيا أو خياليا)، تماما مثل قدماء المصريين، والرموز الطوطمية وإن لم تكن بنفس معانيها اللفظية لدى الحضارات الأخرى، الا أنه كان لها تواجدها فى مصر القديمة منذ عصور ما قبل التاريخ، فقد كان لكل اقليم من الأقاليم المصرية القديمة رمزه الطوطمى سواء كان حيوان أو نبات، وكان الغرض منه الاشارة الى هذا الإقليم أو ذاك، والى أهله.. وكذلك كانت المعتقدات الشامانية – دون الالتزام بحرفية الكلمة – لها تواجدها فى مصر القديمة منذ عصور ما قبل التاريخ، وضح ذلك من خلال الرسوم الصخرية المكتشفة فى كهوف جبل العوينات، والتى حوت من الرموز والاشارات دلائل عديدة ذات صبغة سحرية.(١)

وعند دراسة "الشامانية" نجد أنفسنا أمام نظام دينى يقوم فى الأساس على التجارب الروحانية والمعرفة المباشرة، وهى سمة مشتركة بين الشامانية وبين الديانة المصرية القديمة، و لا يمكن للمرء أن يفهم هذه التجارب الا اذا أدرك أولا أن هذه التجارب تصف عوالم أخرى تحكمها قوانين تختلف عن قوانين عالمنا المحسوس.(٢)

و لذلك فالباحث فى كل من الديانة المصرية القديمة والشامانية يجد نفسه أمام نظام عقائدى يختلف تماما عن النظم العقائدية التى ظهرت بعد ذلك، فالشامان يقوم بدور الوسيط أو الجسر الذى يربط بين عالم الروح الماورائى وبين العالم المادى المحسوس، وهو نفس الدور الذى كان يقوم به الملك ثم الكاهن فى مصر القديمة.

ومتون الأهرام تحوى تجارب روحانية تتعلق بالعالم الغيبى، مثل الموت الطقسى والتعرض لتجربة التمزق الى أشلاء يعقبها الميلاد من جديد فى عالم الروح، و تجربة الصعود الى السماء واجتياز مرحلة الموت للاتصال بأرواح الأسلاف والألهة؛ وبالطبع لا يمكننا الادعاء بأن الديانة المصرية فى عصر الدولة القديمة كانت ممارسات شامانية، لأن هناك عدة عناصر كلاسيكية

---

* لم تتواجد الشامانية بمعناها الحرفى كديانة فى مصر، وإنما ظهرت فى مصر القديمة الهيئات المركبة ذات الرمزية العقائدية والمغزى السحرى والتى كانت هى لب الفكر الشامانى فى الحضارات الأخرى فى عصور ما قبل التاريخ.

(١) عبد اللطيف محمود البرغوثى، التاريخ الليبى القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامى، ج ١، ليبيا (د.ت)، ص ٢٣.

(٢) Massey, G., Ancient Egypt the light of the world A Work of Reclamation and Restitution in Twelve Books VOL. I, London,1907. pp. 93- 167.

تميز الشامانية وهذه العناصر لا نجدها فى الديانة المصرية، و أهم هذه السمات أننا لا نجد فى الديانة المصرية شخصية الشامان الذى يدخل فى حالة "ألا وعى" لكى يتصل بالأرواح ويعالج المرضى ويرتحل فى عالم الروح بالطريقة التى تصفها النصوص الشامانية؛ فالشامانية هى ظاهرة خاصة بالمجتمعات القبلية التى تعيش على الصيد والرعى وبالتالى تعيش فى مجتمعات صغيرة ممزقة هى مجتمع القبيلة، أما المجتمع المصرى القديم فقد كان يختلف تماما عن مجتمع الشامان القبلى، لذلك نجد أن الملك فى مصر القديمة هو الذى يقوم بدور الشامان ويصبح هو حلقة الوصل والجسر الذى يربط عالم الروح بعالم المادة.(١)

عادات الدفن الشامانية فى عصور ما قبل التاريخ:

ظهرت إرهاصات الدفنات ذات المغزى الطقسى منذ العصر الحجرى القديم الأعلى(٢٣.٠٠٠-١١.٠٠٠ ق.م) ففى جنوب غرب أسيا عثر على العديد من الدفنات غريبة السمات، والتى كان منها ما جاء فى الأردن فى منطقة "وادى الزرقاء" أو واحة الزرقاء*، إذ عثر على دفنة آدمية تؤرخ ببداية العصر الحجرى القديم الأعلى.(٢)

كانت الدفنة غير جيدة الحفظ، فجاءت البقايا العظمية متناثرة، وبتجميعها وإعادة دراستها تبين أنها لشخص بالغ، وكانت سمات الدفن غير عادية وغريبة ولم يعتاد ظهورها فى دفنات بلاد الشام (شكل:١٠)، فرغم ان الجثة كانت ملقاة على الظهر، الا أن دراسة وتتبع وضع العظام، واتجاهاتها، وانحناءة فقرات عظام الرقبة، تبين أن المتوفى ربما كان قد تم ربطه "تكتيفة" قبل وضعه فى حفرة الدفن، ثم هالوا عليه التراب، وبتأثير ضغط التربة وعوامل المناخ ساءت حالة الدفنة، وتعددت واختلفت التفسيرات بشأن تلك الدفنة الغريبة، الا أن البعض ربط بين تلك الدفنة وبين ممارسات شامانية تجمع بين العالمين "عالم الأحياء وعالم الموتى" فى كيفية لم تكن معتادة

---

(١) نقلاً عن: صفاء محمد، "الديانة المصرية القديمة والشامانيزم"، حركة مصر المدنية، مجلة الكترونية، ١٦ يوليو، ٢٠١٣.

* الموقع حالياً يوجد شمال بركة عين الـ Qasiyya بوادى الزرقاء، والذى كان فيما سبق بركة صغيرة ترتبط بالمجرى المائى القريب منها فى منطقة مستنقعات وسهول تتوسط ما بين مدرجات تكيا – ايران، ومنطقة الصحراء العربية جنوب غرب أسيا:

محمد وهيب؛ هبه خير، اكتشاف حضارات وادى الزرقاء، الجزء الأول،الأردن – الزرقاء، ٢٠١١، ص ٢٣.

(٢) Richter, T., & others , An Early Epipalaeolithic sitting burial from the Azraq Oasis, Jordan,in: ANTIQUITY, 84 (2010): 321; Kubarev, V.D., Traces of shamanic motives in the petroglyphs and burial paintings of the Gorno-Altai. In: Rozwadowski, A. & Kośko, M.M. (eds) Spirits and Stones: Shamanism and Rock Art in Central Asia and Siberia, 2002, pp. 99-119.

الظهور من قبل، وربما كانت تلك الدفنة لأحد الأفراد الذى تم التضحية به فى ظل ممارسات طقسية دلت عليها وضعية الدفن.[١] (شكل:١١)

وفى الأردن أيضاً فى Ùyun al-Hammam عثر على دفنات آدمية شامانية تؤرخ بمنتصف العصر الحجرى القديم الأعلى، فقد عثر على ثلاث دفنات آدمية، كانت واحدة منهم قد جمعت بين دفنة آدمية وحيوانية، اذ عثر فيها على أول دفنة صريحة لثعلب جاءت جمجمته واضحة وكاملة (شكل:١٢)، كانت عظامه متناثرة بالدفنة، وعثر كذلك على بعض الشفرات الصوانية والأدوات العظمية، وعلى قرون لغزال من فصيلة الغزال الأحمر، وكذلك عثر على بقايا من المغرة الحمراء.[٢]

وما كل ذلك الا أدلة تؤكد غرابة الدفنة، وارتباطها بطقوس ذات دلالة سحرية، فهى تجمع بين الإنسان والحيوان والأدوات المستخدمة والمغرة الحمراء بما لها من دلالة سحرية لارتباط اللون الأحمر بالدم.[٣]

هذا بخلاف ما عثر عليه فى كهوف وادى الحلزون * بفلسطين، اذ عثر على دفنة بدراستها تبين أنها لأحد الشامان، اذ كانت الدفنة لشخص دفن ومعه بقايا العديد من الأجزاء الحيوانية، كان من بينها ظهر سلحفاة، وبقايا من عظام حيوان "الأرخص" وبقايا أخرى لعظام حيوانية مختلطة،[٤] والدفنة كانت قد أرخت بالعصر الناطوفى أو بالحضارة الناطوفية (١٤.٥٠٠– ١١.٦٠٠ ق.م)[٥]

---

(١) Richter, T., & others , op. cit., pp. 324-330.

(٢) Maher, L.A., & Others , A Unique Human-Fox Burial from a Pre-Natufian Cemetery in the Levant (Jordan), (PLoS ONE , www.plosone.org , Volume 6 , 2011, pp. 4-5.

(٣) Maher, L.A., op. cit., pp. 7-8.

* كهف وادى الحلزون: وادى الحلزون واحد من أودية الجليل الأدنى وسهل عكا في شمال فلسطين، وأحد روافد نهر النعامين، يقدر طوله بنحو ٣٠ كم، واتجاهه العام شرقي – غربي. وتظهر عليه تعرجات وانعطافات كثيرة، خاصة في قسمه الشرقي ضمن جبال الجليل الأدنى. ويقع كهف الحلزون شرق قرية مجدل بني فاضل وهو داخل حدود معالي افرايم المغتصبة، وهذا الكهف تم اكتشافه اوائل التسعينات جنوب معالي افرايم، ويعتبر من أهم المعالم السياحية في الغور، ويتميز الكهف بالهوابط المذهلة وهو مقفل ويمنع الدخول اليه الا بالحصول على اذن لذلك. انظر: مصطفى مراد الدباغ، فلسطين بلادنا، ج٢، بيروت، ١٩٧٤.

(٤) Richter, T., & others , Op.Cit.,p. 321; Wright, G.A., Social differentiation in the early Natufian, New York ,1978,pp.210-224.، in:Redman, C.L., Berman, M.J., Curtin, E.V., (edit.,), Social anthropology

(٥) Bar-Yosef , O., The Natufian Culture in the Levant: Threshold to the Origins of Agriculture, Evolutionary Anthropology, 1998, pp. 159-177.

وكانت تلك الدفنة قد أكدت بسماتها على الوضع الاجتماعى لصاحب الدفنة، وكذلك على طبيعة الحالة الاقتصادية والدينية والاجتماعية التى كانت سائدة فى تلك الفترة، وكيف كان دفن الموتى بوجه عام، والشامان أو رجل الدين بوجه خاص من الأمور الهامة التى حرص عليها سكان جنوب غرب أسيا بصفة عامة.[١]

وقد عثر على دفنة لإمرأة الشامان "سيدة الشامان" أيضاً فى فلسطين تؤرخ بالعصر الناطوفى، كان قد ألحق بالدفنة العديد من الأدوات الحجرية، والأدوات العظمية الطقسية، وأجزاء حيوانية وبقايا ريش وأجنحة لطيور جارحة.. وجميعها لقى تؤكد على الطبيعة الغريبة لتلك الدفنة، وعلى مكانة تلك السيدة ووضعها فى المجتمع.[٢](شكل:١٣)

وفى أوروبا ظهرت دفنات الشامان منذ العصر الحجرى الوسيط "الميزوليتى" على أقل تقدير، عثر فى منطقة "فيدبك" بالنمارك على حوالى ٢٢ دفنة آدمية تؤرخ بالعصر الحجرى الوسيط، جاء فى ثلاثة من تلك الدفنات المتوفى راقداً وقد تم تغطيته بقرون غزلان أو وعول، بينما عثر فى دفنة أخرى على المتوفى – وكان تقريباً فى عمر الخمسين– وقد دفن معه بعض المتاع الشخصى وبعض النصال الصوانية الكبيرة وزوج من قرون الغزلان الحمراء، وزعت أسفل الكتفين وأسفل الحوض، وتم وضع خمسة كتل حجرية كبيرة وضعت أعلى الأطراف السفلية، وكانت تلك الكتل الحجرية قد غطيت بالمغرة الحمراء، ولقد تعددت التفسيرات بشأن تلك الكتل الحجرية، فرأى البعض أن الغرض من مثل هذه الكتل الحجرية ربما هو إعاقة حركة المتوفى وتثبيت قدميه لمنعه من التحرك ربما لاعتقادهم بخطورته على الأحياء، وهذا يفسر أيضاً السبب وراء عمق تلك الدفنات. والبعض الأخر رأى فى مثل تلك الكتل الحجرية دلالة على علو مكان صاحب الدفنة[٣] (شكل:١٤)

---

(١) Richter, T., & others , op. cit., p. 322.

(٢) Grünberg,J.M., Die mesolithische Bestattungen in Mitteldeutschland.. In: Harald Meller (Hrsg.): Katalog zur Dauerausstellung im Landesmuseum für Vorgeschichte Halle. Bd. 1, Halle Saale 2004, S. 275–291.

(٣) Mikhailova, N., op. cit., p. 1930

وفى دفنة أخرى جيدة الحفظ عثر على امرأة يتراوح عمرها ما بين ٤٠ – ٥٠ عام، كانت قد دفنت ووضع أسفل رأسها والأكتاف زوج من قرون الغزلان، وعثر مع تلك القرون على مخرز أو مثقاب من العظم، وعلى فأس يدوية[١] (شكل:١٥)

وفى العصر الحجرى الحديث عثر أيضا على العديد من دفنات الشامان فى أوروبا وشمال روسيا وكانت قد وضحت سمات تلك الدفنات والمغزى الطقسى منها، اذ وضعت معها بعض الأدوات التى اتخذت هيئات لتشكيلات حيوانية، وهى أدوات كان يستخدمها الشمان فى أداء طقوسه، بخلاف بعض الأجزاء الحيوانية التى عثر عليها برفقة تلك الدفنات، ولقد تنوعت تلك الدفنات بين دفنات فردية، وثنائية وثلاثية[٢] (شكل:١٦) و (شكل:١٧).

فدفنات الشامان كانت أشبه بالدفنات الطقسية، فالشامان عند موته إنما يربط عالم الأحياء بعالم الأموات، أو يربط الأحياء بأسلافهم، تماماً كما كان الأمر فى عادات الدفن الأفريقية التى كانت تربط دفن الشامان بصلة طوطمية تربطه بالجد الأكبر من الأسلاف.[٣]

الشامان بين الماضى الحاضر:

كانت اسيا الوسطى من أكثر الأماكن التى وضحت فيها الشامانية منذ عصور ما قبل التاريخ، واستمرت حتى العصر الحالى، ولقد صور الفن الصخرى فى أسيا الوسطى هيئة الشامان أو السمات الشامانية من خلال مواضيع الرسوم الصخرية التى ترجع الى أربعة ألاف سنة ق[٤].

وكانت سيبريا*من أكثر الأماكن التى وضحت فيها الشامانية منذ عصور ما قبل التاريخ، [١] مما أدى بالعديد من الباحثين الى جعل سيبريا مركز الشامانية فى أسيا الوسطى، اعتماداً على ما أظهرته الفنون الصخرية.[٢]

---

(١) Mikhailova, N., op. cit., p. 193.

(٢) Arias, P., The Origins of the Neolithic Along the Atlantic Coast of Continental Europe: A Survey, in: Journal of World Prehistory, Vol. 13, No. 4, 1999, pp. 403-452

(٣) Adams, R.L., Residential Burial in Global Perspective, in: ARCHEOLOGICAL PAPERS OF THE AMERICAN ANTHROPOLOGICAL ASSOCIATION, Vol. 20, 2011, pp. 3-4.

(٤) Basilov V. N, Shamanism in Central Asia. In: Bharati,A.,(edit.), Berlin, 1976, pp. 149-157.

* سيبيريا تشغل الجزء الشرقي والشمال الشرقي من روسيا، تمتد من جبال الأورال غرباً حتى المحيط الهادى شرقاً، ومن المحيط المتجمد الشمالى حتي حدود كازاخستان و منغوليا و الصين جنوباً.

ففى (شكل:١٨) نرى شامان بهيئة مركبة تجمع بين رأس كلب يرتدى غطاء رأس من ريش الطيور، وجسم انسان، صوره الفنان يؤدى رقصة طقسية، ولقد تم اكتشاف هذا المنظر فى حجرة دفن حجرية على ضفة نهر كاراكول بروسيا.[٣]

ومما أثار اهتمام الباحثيين بالشامانية فى سيبريا هو استمرار تواجدها، واستمرار نفس تقاليدها منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى القرن التاسع عشر الميلادى[٤] بل وحتى العصر الحالى، اذ لازالت سيبريا هى المقر الرسمى لتجمع الشامان من جميع أنحاء العالم للقيام بعدد من الاحتفالات التى عرفت هناك منذ عصور ما قبل التاريخ.[٥]

الشامانية لدى بعض القبائل البدائية:

للسحر والشامانية دور هام فى العديد من القبائل البدائية لاسيما تلك الموجودة حالياً بالقارة الأفريقيه، ففى جزر كيريونيا التى تقع فى بحر سليمان "بابوا غينيا الجديدة"، يمارس العمل السحرى من خلال تراتيل وكلام معين غير مفهوم، مقترن ببعض الممارسات الطقسية ذات المغزى السحرى، كالانتقال من جبل الى جبل، والنداء بكلمات عديمة المعنى، واستخدام بعض النباتات التى يؤتى بها من حديقة السحر بجزر Trobriand بغينيا، والقائم بهذه الممارسات هو ساحر القبيلة أو "شامان القبيلة".[٦]

وكان من بين طقوس الصيد السحرية ما عرف لدى بعض القبائل البدائية فى منطقة الغابات الاستوائية، اذ ظهرت طائفة عبدت أو قدست الغزال واتخذت منه رمزاً طوطميا لها، وارتبطت

---

(١) Kosko M. M.,. Shamanism, an essential component of the Kazakh worldview, In: A. Rozwadowski, M. M., (edit.),Spirits and Stones: rock art and shamanism in Central Asia and Siberia ,Poznan, 2002, pp. 13-27.

(٢) Rozwadowski, A., Did shamans always play the drum| Tracking down prehistoric shamanism in Central Asia,in: Documenta Praehistorica XXXIX (2012), p. 277

(٣) Rozwadowski, A., op. cit., p. 280.

(٤) Rozwadowski, A., op. cit. p. 278.

(٥) Centlivres K., Centlivres P., & Slobin M., A Muslim shaman of Afghan Turkestan, Ethnology, 10(2), 1971, pp. 160-173.

(٦) Frankle, L.S., & Stein, P.L., Anthropology of religion, magic, and witchcraft, Boston, 2005, p. 140, fig. 6.1.

طقوس الصيد السحرية لدى هذة الطائفة بالشامانية، وكان الشامان هو القائم بأداء هذه الطقوس السحرية.[١] (شكل:١٩)

وفى العديد من القبائل البدائية الأخرى فى أسيا وأوروبا والأمريكتين يمارس الشامان عروض الطقوس الشامانية السحرية بأشكال مختلفة، من خلال عروض المآثر السحرية التى يعتقد منها الإتيان بالمعجزات، كالدوران مع النار ونداء غير معروف لعالم الأسلاف "نداء اشامان"، وجميعها ممارسات تكشف عن عالم خرافي للآلهة والسحرة، يبدو فيه كل شيء ممكنًا اعتماداً على الخيال، وعلى إزالة الحواجز بين الحلم والحقيقة، والدخول فى العوالم المسكونة بالآلهة والموتى والأرواح، ويستخدم الشامان فى سبيل تفعيل هذا التأثير السحرى فى النفوس دق الطبول والدفوف لإحداث حالة نفسيه معينة تدخله عالم من الروحانية، وتقنع الرائيين بتأثيره فى الإتيان بأرواح الأسلاف.[٢]

الخاتمة:

– السحر والدين والشامانية جميعها أفكار ومعتقدات عرفها الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ فى أغلب الحضارات، ولاتزال بمثابة حجر الأساس لدراسة دين الانسان الحالى فى بعض القبائل البدائية.

– الشامان شخصية استثنائية في القبائل البدائية، فهو سيد القبيلة الذى يمتلك قوى تفوق قوى الطبيعة والأرواح والأمراض والأعداء، وهو الساحر الذي تعلّم اكتشاف المجهول والذى يعمل على التواصل بينه وبين الموتى.

– يعد الفن مرشدنا ودليلنا الى معرفة وفهم دنيا ودين انسان العصور الحجرية، فمن الفن رأينا حياة بادت الا من معالمها المرسومة، ومن الفن أدركنا طبيعة الفكر والعقيدة التى اعتنقها هذا الإنسان بل وطبيعة ممارساته الدينية أو السحرية.

– اختلفت الأراء بشأن تفسير الهيئات الشامانية المركبة فى عصور ما قبل التاريخ بين مؤيد ومعارض، فهناك من يرى إن الرسوم والصور التي مثلت هيئة مركبة تجمع بين إنسان وحيوان ليست من الواقعية بشيء، لأنها لا تختلف بطريقة التعبير عن تلك الرسوم والصور المركبة التي يزخر بها فن العصور الحجرية، وهناك من يرى أن تلك الهيئات هى بالفعل تمثل هيئات شامانية،

---

(١) Mikhailova, N., op. cit., p.187.

(٢) Mikhailova, N., op. cit., p.189.

واستدلوا على ذلك من تطابقها مع هيئة الشامان لدى العديد من القبائل البدائية التى تؤمن بالشامانية.

وضحت الطقوس الشامانية فى العديد من القبائل البدائية، وكان الشامان فيها يقوم بطقوس وممارسات يؤديها في غالب الحال، إما تحت تأثير أنواع من المواد المخدرة أو أن يعيش حالة نفسية خاصة يتم بها التحول التدريجي إلى تقمص شخصية الحيوان أو الدخول في علاقة مع كائنات وأرواح خيالية، حيث يطغي على هذه الحالة عالم من الهلوسة الكلامية والشكلية، هي الناتج النهائي الذي سيتوصل إليه هذا الشامان ليجيب على الأسئلة الملحة التي يتوجب عليه حلها.

عثر على العديد من دفنات الشامان فى مواقع عدة تؤرخ بعصور ما قبل التاريخ، وكانت تلك الدفنات من أهم أدلة معرفة أناس ما قبل التاريخ للشامانية.

أظهرت اللقى الأثرية، والرسوم الصخرية هيئات الشامان فى عصور ما قبل التاريخ، وجاءت متوافقة ومطابقة لهيئات الشامان فى االعديد من القبائل البدائية والشعوب ذات الديانات الوضعية.

الأشكال

(شكل:١)- ساحر كهف الأخوة الثلاثة – فرنسا.

-Mikhailova, N., the Cult of the Deer and "Shamans" in Deer Hunting Society, in: Baltica Archaeologia, vol.7, 2005, p.191, fig.2.4.

(شكل:٢)- الرجل الثور – كهف Gabillou بفرنسا.

(شكل:٣)- الرجل الأسد – من عاج قرون الماموث – متحف أولمر بألمانيا

-Mikhailova, N.,Op.Cit., p.191,fig.2,1-2.

(شكل:٤)- اعادة تركيب لغطاء رأس يعلوه قرون غزال

Mikhailova, N., Op.Cit., p.192, fig.3.

(شكل: ٥)- تمثال من النحاس لشامان يرتدى غطاء رأس من قرون الغزال - إيران أو بلاد الرافدين ٣١٠٠ – ٢٩٠٠ ق.م

Benzel, K., Graff, S. R., &Yelena Rakic, Y., Art of the ancient near east, New York, 2010, p. 55.

(شكل:٦)- آلة الفلوت "آلة نفخ" من عظام الطيور – أحد كهوف جنوب غرب ألمانيا – العصر الحجرى القديم الأعلى

Steif, A., Endless resurrection: art and ritual in the upper Paleolithic, university of Michigan, , Michigan, 2010,fig.5.

(شكل:٧)- منظر صيد سحرى يجمع بين هيئة مركبة " آدمية وحيوانية " ذات دلالة طوطمية وهيئة حيوانية تجريدية ٢٢.٠٠٠ – ١٧.٠٠٠ ق.م

Milledge, C., The artist – shaman and the "gift of sight", doctor of philosophy, university of Sydney, 2013, p.9.

(شكل:٨)- منظر لحصان وبصمة كف اليد – ٢٥.٠٠٠ ق.م

Steif, A., Endless resurrection: art and ritual in the upper Paleolithic, university of Michigan, Michigan, 2010, fig.12.

(شكل:٩)– تميمة من حجر الأوبسديان برسم على هيئة المعبودة لامشتو – بلاد الرافدين – بداية الأف الأول ق.م – متحف المتروبوليتان للفن

Benzel, K., Graff, S. R., & Rakic,Y., Art of the ancient near east, New York,2010, p. 42, fig. 21.

(شكل:١٠)– دفنة وادى الزرقاء بالأردن – نهاية العصر الحجرى القديم الأعلى

Richter, T., & others , An Early Epipalaeolithic sitting burial from the Azraq Oasis, Jordan,in: Antiquity ,84 (2010): 328, fig.5.

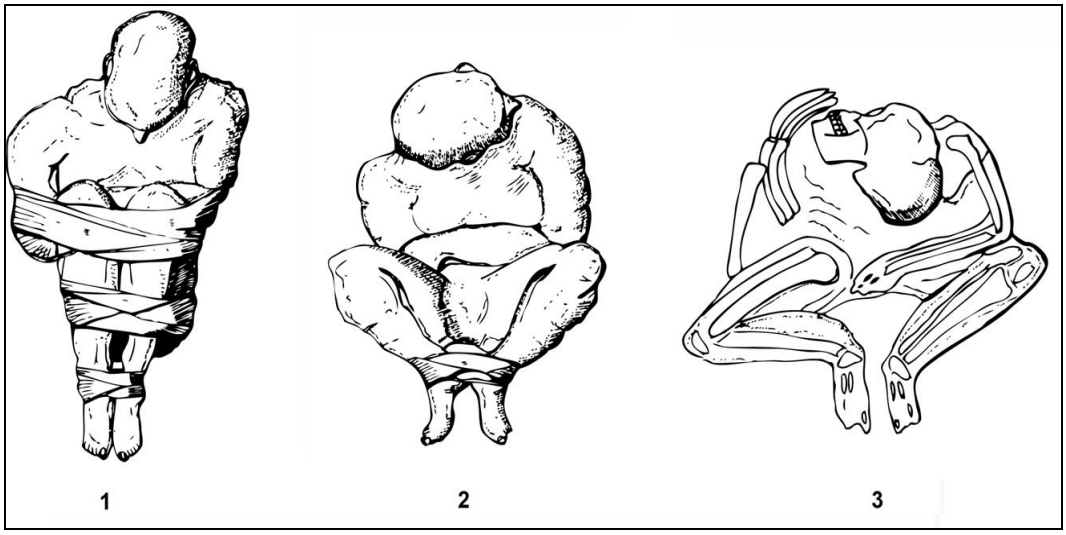

(شكل:١١)– إعادة تخيل لدفنة بوادى الزرقاء بالأردن – نهاية العصر الحجرى القديم الأعلى.

- Ibid., p. 325, fig. 3.

(شكل:١٢) – جمجمة الثعلب التى عثر عليها بالدفنة رقم ١ بموقع Ùyun al-Hammam بالأردن – نهاية العصر الحجرى القديم الأعلى.

Maher, L.A., & Others , A Unique Human-Fox Burial from a Pre-Natufian Cemetery in the Levant (Jordan), (PLoS ONE , www.plosone.org , Volume 6 , 2011,p. 6, fig. 4.

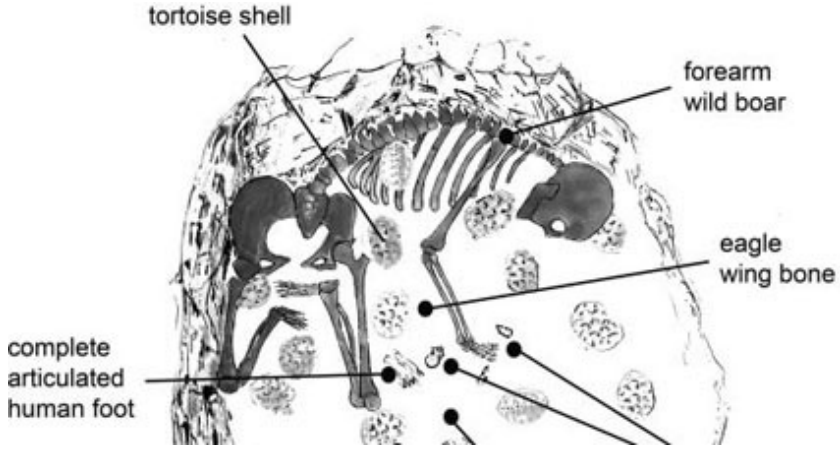

(شكل:١٣)– دفنة لإمرأة الشامان – من العصر الناطوفى – فلسطين

Strickland, E., in a 12.000 – year old grave , a shaman shares her tomb with animal Totems,in: http://blogs.discovermagazine.com/2008.

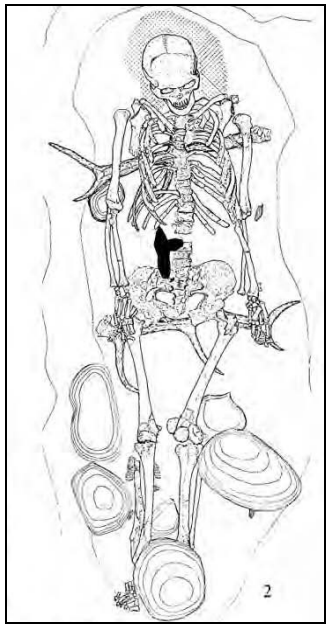

(شكل:١٤) – دفنة شامانية – العصر الحجرى الوسيط – فيدباك بالدنمارك

وقد وضع مع المتوفى قرون الغزلان وكتل الأحجار

Albrethsen, S.,& Petersen, E., Excavation of a Mesolithic cemetery at Vedbaek, Denmark, .Acta Archaeologica1976, fig. 17.

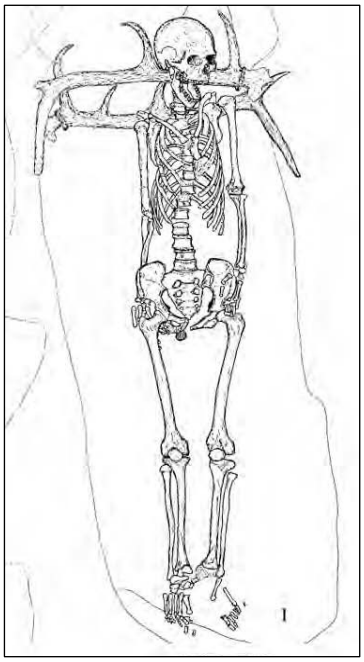

(شكل:١٥)– وقد وضع مع المتوفى قرون الغزلان وكتل – دفنة شامانية وضع معها قرون غزلان أسفل الرأس والأكتاف– العصر الحجرى الوسيط – فيدباك بالدنمارك. الأحجار

Albrethsen, S.,& Petersen, E., Op.Cit., fig.12.

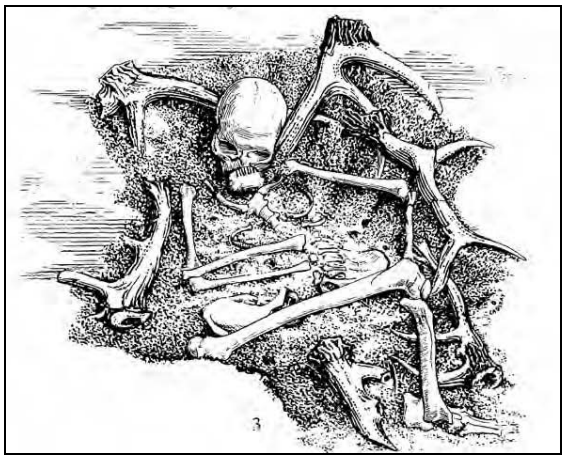

(شكل:١٦)– دفنة شامان وقد غطى بالكامل بقرون الغزلان – العصر الحجرى الوسيط – من موقع Hoedic بفرنسا

Pequart, M., and Pequart, S. J‹. Hoedic, deuxieme station-necropole du Mesolithique cotier armoricain, (1954), Fig.41.

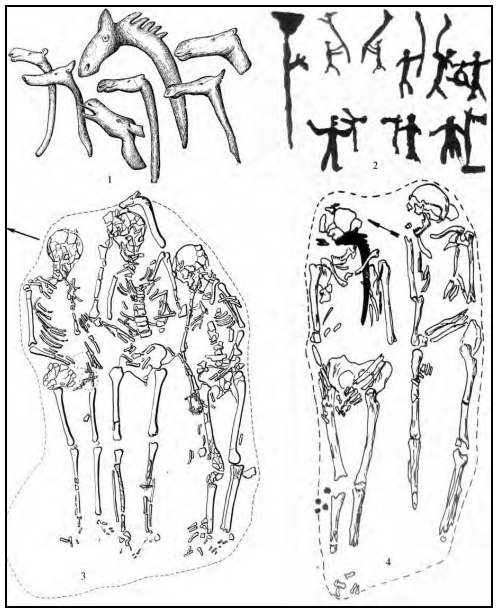

(شكل:١٧)- أدوات ودفنات الشامانية من شمال أوروبا وشمال روسيا – العصر الحجرى الحديث.

- Mikhailova, N., the Cult of the Deer and “Shamans” in Deer Hunting - Society, in: Baltica Archaeologia, vol.7, 2005, p. 196, fig.6.

(شكل:١٨)- هيئة شامانية مركبة تجمع بين رأس كلب بغطاء رأس من ريش الطيور – كاراكول، ألتاى فى جنوب سيبريا – الألف الثانى ق.م

Rozwadowski, A., Did shamans always play the drum| Tracking down prehistoric shamanism in Central Asia,in: Documenta Praehistorica XXXIX (2012), p. 280, fig.1

(شكل:١٩)- ممارسة السحر فى حديقة السحر بجزيرة كيريونيا – غينيا الجديدة

Frankle ,L.S., & Stein ,P.L., Anthropology of religion , magic , and witchcraft , Boston, 2005,p.140,fig.6.